النصائح الجليّة

- خطر التصدّر قبل أوانه
- طريق السلف بعيدة عن الغلو والتطرّف
- الاسترزاق والنفِّاق!!
- نصيحة للأحباب مع الواقع المعاصر
- لُبّ السلوك

بقلم
د . زين بن محمد بن حسين العيدروس
أستاذ الحديث وعلوم السنة المشارك
بجامعة حضرموت

النصائح الجليّة
للمُنتمين للمدرسة الوسطيّة

بقلم

د . زين بن محمد بن حسين العيد روس

عفا الله عنه

أستاذ الحديث وعلوم السنة المشارك بجامعة حضرموت

عنوان الكتاب: النصائح الجليّة للمُنتمين للمدرسة الوسطيّة

تأليف: د. زين بن محمد بن حسين العيدروس

الإخراج الفني

دار العيدروس

daralaidaroos@gmail.com

ت: ٧٧١٣١١٤٥٦

التنفيذ الطباعي

مطبعة وحدين الحديثة للأوفست ـ المكلا ـ ت :٣١٦٦١٥

الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ ــ ٢٠٢٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلّا بالله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأسوة والقدوة، وعلى آله أهل الوراثة والفتوّة، وأصحابه أهل الهمّة والصّدَارة، أما بعد:

فهذه خمس مقالات كتبتُها خلال فترات مُختلفة أحببتُ جمعها في رسالة واحدة؛ لتقارب موضوعاتها، ولكونها تُعالج قضايا سُلوكية تربويّة مُهمّة، وقد أسميتُها: (النصائح الجليّة للمُنتمين للمدرسة الوسطيّة)؛ لعلّها تلقى آذاناً صاغيةً، وقلوباً واعيةً، وأفهاماً مُستنيرةً ، وعقولاً مُتزنة بمِيزان الشرعِ المَصُون، فهو الميزان الذي يَحتكم به الخِلّان عند الاضطراب؛ ليصلوا لبرّ الأمان والاستنارة بهدي القرآن، وسنّة سيّد ولد عدنان، وقد رغِبَ في نشرها وطباعتها مَنْ له تعلّق بسلفه الصالح، وله حُرقة بمنهجه الرّابح، جزاه الله تعالى خيراً ونُوراً، وجزاه جَنّةً وحُبوراً، وكساه سعادةً وسُروراً.

وقد رتبتُها في تمهيد، وخمسة مباحث مُختصرة، فيما يأتي:

تمهيد: في أصول المدرسة الحضرميّة الوسطيّة

المبحث الأول: المقال الأول [خطر التصدّر قبل أوانه]

المبحث الثاني:المقال الثاني[طريقة السلف بعيدة عن الغلو والتطرّف]

المبحث الثالث: المقال الثالث [الاسترزاق والنِّفاق !!]

المبحث الرابع: المقال الرابع:[نصيحة للأحباب مع الواقع المعاصر]

المبحث الخامس: المقال الخامس [لُبّ السلوك]

والله المُستعان، وعليه التُكلان، وإليه المرجع والمصير.

تمهيد

أصول المدرسة الحضرميّة الوسطيّة

تتلخص طريقة السّادة العارفين، والمدرسة الحضرميّة بالخصوص في خمسة أصول: (١) العلم (٢) العمل (٣) الورع (٤) الخوف من الله تعالى (٥) الإخلاص لله سبحانه(١).

---

(١) انظر: عِقد اليواقيت الجوهرية للحبشي ٣١/١، وقد شرح هذه الأصول الخمسة ودلّل لها العلامة إبراهيم بن زين بن سميط في كتاب موسّع قيّم أسماه: (المنهج السّوي شرح أصول طريقة السّادة آل باعلوي)، وتكلّم جماعة من شيوخ وأعلام المدرسة الحضرميّة العلويّة عن أُسس وقواعد وضوابط مدرستهم الفريدة المباركة التي انتجت وأثمرت وسرَتْ نِتاجها وانتشرت في الشرق والغرب بما يشفي الغليل، ويبر العليل، فمنهم: الإمام عبد الله بن أبي بكر العيدروس في الكبريت الأحمر، ورسالته الفريدة في التصوف، وشقيقه الإمام علي بن أبي بكر في البُرقة المشيقة، والعلامة محسن بن علوي بن سقاف السقاف في تعريف الخلف بطريق السلف، والعلامة عيدروس بن عمر الحبشي في عقد اليواقيت الجوهرية، وشيخ ابن عبدالله العيدروس في العِقد النبوي، والعلامة محمد بن حسين الحبشي في العقود اللؤلؤية في بيان طريقة السّادة العلوية، والعلامة عبد الله بن علوي العطاس في العلم النبراس في التنبيه على منهج الأكياس، والعلامة زين بن إبراهيم بن سميط في المنهج السوي شرح أصول طريقة السادة آل باعلوي، وغيرهم.

قال الإمام عبد الله بن علوي الحداد . رحمه الله . :

وَعَلَيْكَ بِالإِخْلاصِ وَالصِدْقِ وَبِالْ * زُهْدِ وَجَانِبْ مُنْكَرَ الأَوْصَافِ

وَاسْتَصْحِبِ التَّقْوَى وَكُنْ ذا هِمَّةٍ * وَفُتوَّةٍ وَأَمَانَةٍ وَعَفَافِ

وَأَنِبْ إِلَى دَارِ الْكَرَامَةِ وَالْبَقَا * وَعَنِ الدَّنِيَّةِ كُنْ أخِي مُتَجَافِي

وَالْزَمْ كِتَابَ اللهِ وَاتْبَعْ سُنَّةً * وَاقْتَدْ هَدَاكَ اللهُ بِالأَسْلاَفِ(١).

وقال عن أحوال السابقين من أرباب العلوم والفهوم من المدرسة الحضرميّة بعد ذكرهم والترنّم بجميل أوصافهم :

قَوَمٌ إذا أَرْخَى الظَلامُ سُتُورَهُ

لَمُ تُلْفِهِمْ رَهْنَ الوِطَا وَالمَضْجَعِ

بَل تَلْقَهُمْ عُمُدَ المَحَارِبِ قُوَّمَاً

للهِ أَكْرِمْ بِالسُجُودِ الرُّكَّعِ

يتْلُونَ آياتِ القُرَآنِ تَدَبُّراً

فيهِ ولا كالغَافِلِ المُتَوَزِّعِ

ثَبَتُوا عَلى قَدَمِ الرّسُولِ وَصَحْبِهِ

وَالتابِعينَ لَهُمْ فَسَلْ وَتَتَبَّعِ

وَمَضَوْا عَلَى قَصْدِ السَّبِيلِ إلى ٱلعُلاَ

قَدَماً عَلَى قَدَمٍ بِجِدٍّ أَوْزَعِ (٢).

ويقول العلامة علي بن محمد الحبشي . رحمه الله . في بيان طريقة

---

(١) الدُّرُّ المنْظُوم لِذَوْي العُقُول والفُهُوم ص ١٦٥.

(٢) الدُّرُّ المنْظُوم لِذَوْي العُقُول والفُهُوم ص ١٦٢.

المدرسة الحضرميّة:

وممّا يسرُ القلبُ منّي لزومكم * طريقة آبائي وأهلي وأجدادي

من السلف القوم الذين توجّهوا *إلى الله يقفُون النبي المصطفى الهادي

وها هي أعمالٌ خلتْ عن شوائبٍ * وعلمٍ وأخلاقٍ وكثرةِ أورادِ

وأربابها يسعون فيها بوجهة * فهم بين عبّاد بعلم وزهادِ

أولئك قومٌ شرّف الله قدرهم * فهم بين أقطاب كرام وأوتادِ.

وللعلامة عبد الله بن علوي العطاس . رحمه الله . ت(١٣٣٤هـ) كلام مفيد جداً، لخّص من أهم سيرهم ومنهجهم، فقال: (اعلم رحمك الله أن من سير الكرام من ساداتنا العلويين وغيرهم:

الأول: حفظ الأبناء والبنين من التغلغل في طلب الجاه والرفعة والرئاسة كما أنهم لم يرتضوها لأنفسهم وفي طلب المكاثرة فيها، وقد عمّتَ تلك البَلوى في زماننا هذا، حتى قلّ مَنْ يَسلم من تعاطي أكل أموال الناس بسبب ذلك.

الثاني: حفظهم من الإعتقادات الفاسدة، والنهي عن التكلّم فيما جرى بين الصحابة، والحث على التمسك بما في الإحياء . إحياء علوم الدّين للإمام الغزالي ..

الثالث: حفظهم عن طلب ظهور الكرامات، وخوارق العادات، أو يجعلون ذلك لهم على بال، أو يعتقدون المتظاهرين بذلك بغير استقامة، فإنها وبال على القاصرين، خصوصاً إذا كانت ممّن لم يكن من أهل العلم والإستقامة عليه على حسب ما ورد به الكتاب

والسنة)[1].

وقال الإمام عبدالله بن علوي الحداد . رحمه الله . : (سادتنا آل باعلوي أمورهم مُرتبةٌ على السُنّة والعوائد الحسنة، ومن خرج منها فهو قليلُ خير، وصار مثل الغُراب! أعجبه مشيُ القَطاةِ، فأراد أن يمشي مثلها فلم يُحسِنْ، ثم رجع إلى مِشيته فلم يَعرِفها فنسيها) [2].

وقد قِيل في المَثل:

غرابٌ تعلّم مشي القَطَا * وقد كان يُحسن مَشي الحَجَل

فهرَولَ ما بين هَذا وذَا * فلا ذا تأتّى و لا ذَا حَصــلْ[3].

وللأسف اليوم تأخّرنا وتأخر المُتأخرون عن اللّحاق بالسّلف الصالح والمنهج الرابح، وظهرت المُبالغات في الحال والمقال، واغتررنا بالجَاه والمال، ونسينا أو تناسينا يوم المآل، والرجوعِ لله المُتعال، (فتأخّر الخلف الآن عن السّلف، وتأخُّرُهم عنهم هو: التلَفُ، قال العلامة علي بن محمد الحبشي . رحمه الله . :

مَنْ لا سَلَكْ في طريقْ أهْلِهْ تَـهَيَّمْ وضاعْ

فيا (أحباب) النبي سِيرُوا على الاتِّباع

---

(١) العلم النبراس في التنبيه على منهج الأكياس ص ٣٣ . ٣٥.

(٢) انظر: المنهج السّوي شرح أصول طريقة السادة آل باعلوي لابن سميط ٥٤.

(٣) تعريف الخلف بسيرة السلف للسقاف ص١٣٥. ومشي الحَجَل: حَجَل الغراب أي: مشى مشي المقيّد، ويُقال للغراب الأعرج .انظر: المخصص لابن سيده ٣٣٩/٢.

خَلُّوا القَدَمْ بالقدَمْ واحذروا الابْتِداع) [1].

فما أكثر المظاهر اليوم، وما أقلّ ما في المَخابِر !! فتجدُ اليوم مَنْ يدّعي بوصِلِ ليلى، وليلى لا تقرّ لهم بذاك، فالاتباع يكون بالظاهر والباطن!! ومن اكتفى بواحد هلك، ومن أخذ بهما سلك، ولله درّ شيخنا العلامة المُربّي حسن بن عبد الله بن عمر الشاطري . رحمه الله . عندما قال: امُشوا على طريق أهلِكم خَلُّوا القَرْبَعة!! [2] . أي: المظاهر والضوضاء، والحقيقة منها جوفاء ..

المبحث الأول

(المقال الأول) [خطر التصدّر قبل أوانه]

ظهر في الآونة الأخيرة حدثاء الأسنان بحبهم الظهور في ما يُسمى بالفضاء الأزرق ووسائل الإعلام بشتى أنواعها، وحُب إبداء الرأي في أيّ موضوعٍ يُثار في الساحة، أو تتحيّن الفُرصة في أيّ مُناسبة، فيذهب كل مذهب، ويظهر نفسه أنه يُدلي بدلْوه تبليغاً وإرشاداً، وحرصاً على حِمى الشريعة ولو على عادات تقليديّة قد لا يرى العلماء لها مقصداً حسناً أو معنى ربانيّاً مناسباً . خصوصاً في الزمن المعاصر.. وقد ثبت عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (إنكم لن تزالوا بخير ما

---

(١) انظر: المنهج السّوي شرح أصول طريقة السادة آل باعلوي لابن سميط ٦٤ . ٦٥.
وأصل البيت: فيا فروع **النبي**...، وتصرّف فيه؛ ليشمل العموم.

(٢) انظر: بعض من كلام العالم المربي حسن الشاطري ص٣٣.

دام العلم في كباركم، فإذا كان العلم في صغاركم سفَّه الصغير الكبير)[1].

فمحبة تصدّر المجالس أو حُب إسماع الآخرين الرأي ـ من غير المتأهلين المتمكنين في العلم والخِبرة والسِّن ـ في كلّ واردة وواقعة مَهلكة؛ فقد حذّرنا من ذلك الصادق المصدوق، والناصح الأمين صلى الله عليه وآله وسلم من التصدّر من غير المتأهل، وصُدور المجالس هي المحاريب التي حذّرنا منها، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (اتقوا هذه المَذابِح، يعني الْمَحَارِيبَ) [2]**، وقد اختلفوا في معنى المحاريب، فجماعة قالوا: المَحاريب المعروفة في هذه الأزمان التي في المساجد، واستدلوا بقول عن كعب رضي الله عنه: (يكون في آخر الزمان قوم ينقص أعمارهم ويزينون مساجدهم ويتخذون بها مذابح كمذابح النصارى)** [3]**، وعليه السيوطي، وأيّده الغماري، والقول الثاني المراد بها صدر المجالس ،**

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ص٦١٧.

(٢) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى ٢/٤٣٩، وقال الحافظ الهيثمي عقب الحديث: المحاريب: صدور المجالس، كذلك ذكره ابن الأثير في مادة حرب، رواه الطبراني، وفيه: عبدالله بن مغراء، وثقه ابن حبان وغيره، وضعّفه ابن المديني في روايته عن الأعمش وليس هذا منها. مجمع الزوائد ٨/ ٦٠، والحديث حسّنه السيوطي والغماري. انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي١/ ١٤٤، والمداوي لعلل المناوي ١/١٨٢.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه٢/ ٤١٣، وغيره.

وهو يدل على ذم حُب التصدّر، وقال به جماعة كابن الأثير والمناوي، قال العلامة ابن الأثير ـ رحمه الله ـ: (المحراب: الموضع العالي المشرف، وهو صدر المجلس أيضاً، ومنه سُمي محراب المسجد وهو صدره وأشرف موضع فيه. ومنه حديث أنس رضي الله عنه: (أنه كان يكره المحاريب) أي: لم يكن يُحب أن يجلس في صدر المجلس ويترفّع على الناس)[1]، والأقرب: أنه لا تنافي بين المعنيين؛ لأن المحراب يدل على التميز والظهور ولهذا يكون موضوعاً للإمام، وبحسب سياق النص يفهم المعنى، والأقرب بحسب سياق الحديث المرفوع يدل على الظهور والتصدر ؛ بدليل طلب الإتقاء؛ فإن شأن المُتصدّر على خطر زهو نفسه واغتراره بعلمه!! والله تعالى أعلم.

وقد ذمّ الله تعالى اليهود الذين يكتبون أو يتفوّهون عند المناسبات خصوصاً؛ لأجل الظهور وكسب المال، أو كسب مَحمدة الناس بغير علم ولا هدى أو من غير قصد إرضاء الله تعالى وإنما لأجل الظهور أو غير ذلك من المقاصد الظاهرة أو الخفيّة، ولو بقصص واهية وأحاديث باردة، وكلمات مُنمّقة، فقال سبحانه : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[2]، والتهديد والوعيد شامل

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر١/ ٣٥٩، وذكر الحافظ ابن الجوزي الرأيين، الأول. انظر: غريب الحديث لابن الجوزي ١/ ١٩٩.

(٢) سورة البقرة: ٧٩.

لكل الأمة للاتعاظ بما حصل من اليهود، قال العلامة محمد الطاهر بن عاشور التونسي . رحمه الله . (المتوفى١٣٩٣هـ): (وَقَوْلُهُ:((لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمناً قَلِيلًا)) هُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾ [(١)]: الثَّمَنُ الْمَقْصُودُ هُنَا هُوَ إِرْضَاءُ الْعَامَّةِ بِأَنْ غَيَّرُوا لَهُمْ أَحْكَامَ الدِّينِ عَلَى مَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ أَوِ انْتِحَالُ الْعِلْمِ لِأَنْفُسِهِمْ مَعَ أَنَّهُمْ جاهِلُونَ فَوَضَعُوا كُتُبًا تَافِهَةً مِنَ الْقَصَصِ والمعلومات الْبَسِيطَةِ؛ لِيَتَفَيْهَقُوا بِهَا فِي الْمَجَامِعِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمَّا لَمْ تَصِلْ عُقُولُهُمْ إِلَى الْعِلْمِ الصَّحِيحِ، وَكَانُوا قَدْ طَمِعُوا فِي التَّصَدُّرِ وَالرِّئَاسَةِ الْكَاذِبَةِ لَفَّقُوا نُتَفًا سَطْحِيَّةً وَجَمَعُوا مَوْضُوعَاتٍ وَفَرَاغَاتٍ لَا تَثْبُتُ عَلَى مَحَكِّ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ، ثُمَّ أَشَاعُوهَا وَنَسَبُوهَا إِلَى اللَّهِ وَدِينِهِ، وَهَذِهِ شَنْشَنَةُ الْجَهَلَةِ الْمُتَطَلِّعِينَ إِلَى الرِّئَاسَة عَن غَيْرِ أَهْلِيَّةٍ؛ لِيَظْهَرُوا فِي صُوَرِ الْعُلَمَاءِ لَدَى أَنْظَارِ الْعَامَّةِ وَمَنْ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ الشَّحْمِ وَالْوَرَمِ) [(٢)]**، والإعجاب هو فتنة العلماء وأعظِم بها من فتنة: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾** [(٣)]**.**

وقد ظهرت في الآونة الأخيرة سلوكيات لا تمتُ للإسلام بصلة، بل الإسلام يُنفّر منها؛ لأنها سبب للغرور والزهو بالنفس، ومن هذه المظاهر :

---

(١) سورة البقرة: ٤١.

(٢) التحرير والتنوير١/ ٥٧٧.

(٣) سورة النور: ٦٣.

١. حُب الظهور في وسائل التواصل الإعلامي الواسع الانتشار من قبل أغرار وأنصاف طلبة العلم . من غير المُتأهلين الراسخين الربانيين .، بعرض فكرة أو إلقاء كلمة أو تفنيد شُبهة في مخيلته، وقد تكون واضحة جليّة، وقديماً قالوا: إيضاح الواضحات من المُشكلات!!.

٢. مُزاحمة الآخرين والحرص على التصدّر: (كما هو دأبُ فقهاء الدنيا وعُلماء السّوء، والحامل على التصدّر في المجالس إنما هو التعاظم والتكبّر؛ فإنّ العالِم إذا دخل مجلسا ميّز لنفسه محلاً يجلس فيه كما عنده من اعتقاده في نفسه رفعة محلّه ومقامه، فإذا دخلَ داخلٌ من أبناء جنسه وقعد فوقه استشاط . أي: احتدَّ . غضباً وأظلمتْ عليه الدنيا، ولو أمكنه البطش بالداخل فعل!! فهذا مرض اعترَاه وهو لا يفطن أن هذه علّة غامضة، ومرض يحتاج إلى مُداواة ولا يتفكّر في منشأ هذا المرض، ولو علِمَ أن هذه نفس ثارت وكبُر ظهر بالجبلّة لبادر باللُّوم على نفسه ظهر ولعالج ذلك المرض من قبل حلوله برمْسِهِ) (١).

٣. الإعجاب بالنفس والغرور بها؛ نظراً لكونه طلب العلم قليلاً واقتصر على ذلك وظن أنه بلغ ما هُنالك، وهو في الحقيقة هَالك!! أو أنه انتسب لعالم أو شريف فأبطأ به عمله، واقتصر على ما بِهِ زهوه !! فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ من

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي١/٩٣.

الخيلاء) [(١)]، قال الإمام القرطبي . رحمه الله .: وإعجاب المرء بنفسه هو مُلاحظة لها بعين الكمال مع النسيان لنعمةِ الله تعالى، والإعجاب وُجْدان شيء حسناً، قال تعالى في قصة قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ [(٢)]، ونهاية المعجب بنفسه الهلاك! قال الله تعالى :﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ﴾ [(٣)]، وقال الإمام الغزالي . رحمه الله .: ومن آفات العُجب أنه يحجب عن التوفيق والتأييد من الله تعالى، والمُعجب يغترُ بنفسه وبرأيه ويأمن مكر الله وعذابه، ويظن أنه عند الله بمكان وأن له عند الله منّة وحقاً بأعماله التي هي نعمة وعطيّة من عطاياه...، فإذا انقطع عن العبد التأييد والتوفيق فما أسرع ما يهلك[(٤)].

٤. استعظام النفس، وعدم بذل الجهد في طلب العلم، فيظن بعضهم

---

(١)أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط٥/٣٢٨، والقُضاعي في مسند الشهاب١/٢١٤، وقال الحافظ المنذري: رواه البزار واللفظ له والبيهقي وغيرهما وهو مروي عن جماعة من الصحابة وأسانيده وإن كان لا يسلم شيء منها من مقال، فهو بمجموعها حسن إن شاء الله تعالى. الترغيب والترهيب١/١٧٤، وذكر الحافظ الغماري للحديث أربعة طرق، وحسّن الحديث. انظر: المداوي لعلل المناوي٣/٣٢٣.

(٢) سورة القصص ٧٨.

(٣) سورة القصص٨١.

(٤) انظر: إحياء علوم الدين٣/ ١٦٩، وفيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي٣/٣٠٧.

أنه قد لبَسَ عِمامةً، فحَسِبَ أنه بلَغَ الزّعامة!! وبلغ من العِلم سُلّمه !! وذكر الإمام عبد الله بن علوي الحداد . رحمه الله . أنه سمِع بعض أجلّاء السّادة شريفاً يقول: أبِي وجدّي ! فقال له: قع . أي كُن . كما جدّك وإلّا فأنتَ سِتْرة . أي: جدار . ولا شي في المقصورة !! [(١)].

وصدَقَ شيخ شيوخنا العلامة المُربّي علوي بن شهاب الدين . رحمه الله . : عِمامة وصُورة ولا شيءَ تحت المَقصُورة !! وكم سمعنا من شيخنا العلامة المُربي حسن وشيخنا العلامة سالم ابني الإمام عبد الله بن عمر الشاطري . رحمهم الله . من النصائح المُخلصة الصادقة بترك الغرور وذم التصدّر في غير محلّه، وترك المظاهر والاعتناء بالحقائق والبواطن.

وربما حملَ بعضهم حُب التصدّر حتى لا يُرى بعين الجهل على أن يجلس بين يدي العلماء ويأخذ عنهم العلم!! ولو تفكّروا هؤلاء الجنس من الناس لعلموا أن المراد إتقان علم الدين ثم فهمه ثم العمل به، ثم الإقبال على ما يصلح النفس ويطهر أخلاقها. قال الإمام الماوردي . رحمه الله . : قال الإمام الشعبي . رحمه الله . : العلم ثلاثة أشبار فمّنْ نالَ منه شبراً شمخ بأنفه وظنّ أنه نالَه. ومَنْ نال الشّبر الثاني صغُرت إليه نفسه وعلِم أنه لم ينله ، وأما الشّبر الثالث فهيهات لا يناله أحد

---

(١) انظر: تثبيت الفؤاد ٥٣٣، وفي المنهج السوي لابن سميط ص٦٥: (كُن كأبيك وجدّك وإلّا فأنتَ عًمامة وصُورة، ولا شيءَ في المقصُورة).

أبداً[1]، وصدق الله تعالى :﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[2].

ثم قال الماوردي حاكياً عن نفسه . رحمه الله . : وممّا أنذرك به من حالي أنني صنّفتُ في البيوعِ كتاباً جمعت فيه ما استطعتُ من كتب الناس، وأجهدتُ فيه نفسي وكددتُ فيه خاطري، حتى إذا تهذّبَ واستكملَ وكدتُ أعجبُ به وتصوّرت أنني أشد الناس اضطلاعاً بعلمه، حضرني ، وأنا في مجلسي أعرابيان فسألاني عن بيع عقداه في البادية على شروط تضمّنتْ أربع مسائل لم أعرف لواحدة منهُن جواباً ، فأطرقتُ مُفكراً ، وبحالي وحالهما مُعتبراً فقالا : ما عندك فيما سألناك جواب، وأنتَ زعيم هذه الجماعة ؟ فقلتُ: لا . فقالا : واهاً لك، وانصرفا. ثم أتيا مَنْ يتقدّمه في العِلم كثير من أصحابي فسألاه، فأجابهما مُسرعاً بما أقنعهما وانصرفا عنه راضيين بجوابه حامدين لعلمه، فبقيتُ مُرتبكاً، وبحالهما وحالي مُعتبراً وإني لعلى ما كنتُ عليه من المسائل إلى وقتي ، فكان ذلك زاجر نصيحة ونذير عِظة تذلل بها قياد النفس ، وانخفض لها جناح العجب ، توفيقاً مُنحْتُه ورُشداً أوتيته.

وقال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : لو كان أحدكم يكتفي من العلم لاكتفى منه موسى – على نبينا وعليه السلام – لما قال :﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴾[3]، وقيل

---

(١) انظر: تذكرة السامع والمتكلم لأبي إسحاق ابن جُماعة ٦٥.

(٢) سورة الإسراء:٨٥.

(٣) سورة الكهف :٦٦.

للخليل بن أحمد ـ رحمه الله ـ: بم أدركت هذا العلم ؟ قال : كنتُ إذا لقيتُ عالماً أخذتُ منه ، وأعطيتُه [١].

وقال الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ : لا ينبغي للرجل أن يعرّض نفسه للفُتيا حتى يكون فيه خمس خصال :

إحداها : أن تكون له نيّة ، أي: أنْ يخلص في ذلك لله تعالى، ولا يقصد رياسة ولا نحوها ، فإن لم يكن له نيّة لم يكن عليه نُور ، ولا على كلامه نور؛ إذ الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى .

الثانية : أن يكون له حِلم ووقار وسكينة، وإلا لم يتمكّن من فعل ما تصدّى له من بيان الأحكام الشرعية .

الثالثة : أن يكون قويًا على ما هو فيه وعلى معرفته، وإلّا فقد عرّض نفسه لعظيم .

الرابعة: الكفاية وإلا أبغضه الناس، فإنه إذا لم تكن له كفاية احتاج إلى الناس، وإلى الأخذ ممّا في أيديهم فيتضررون منه .

الخامسة: معرفة الناس أي: ينبغي له أي: للمفتي أن يكون بصيراً بمكر الناس وخداعهم، ولا ينبغي له أن يحسن الظن بهم بل يكون حذراً فطناً ممّا يُصوّرونه في سؤالاتهم؛ لئلا يوقعوه في المكروه[٢].

فليحذَر العاقل من التصدُّر قبل حينِه، فمَنْ تصدّر قبلَ حينه هوى في حينِه، ولا يفرح المسلم بزلاَّتِ العلماء، ولا يتتبّعُ سَقَطات النبلاء،

---

(١) أدب الدنيا والدين٨٢ ـ٨٣.

(٢) انظر: كشاف القناع للبهوتي ٦/٢٩٩.

ولا يقحِم نفسَه وطلاّبَه فيما يوغِرُ الصدور ويبعَث على الفرقةِ والاختِلاف والشرور، فإن فعَل ذلك فأنَّى له أن يخرِجَ جيلاً متوشِّحًا بسِربال الأدَب خشيةَ الخراب والعطب؟!

وأصل طريقة شيوخنا العلماء الربانيين من السّادة الأشراف والشيوخ وغيرهم من علماء حضرموت: أن حب الظهور قاصمٌ للظهور، فلا يرَون لأنفسهم مكاناً ولا شأناً، بل هم منطرحون لإرادة الله تعالى وقُدرته، واقفون على موائد رحمتِه، ناظرون للآمر دون الأمر.

ونقل العلامة عيدروس بن عمر الحبشي ـ رحمه الله ـ عن شيخه الشيخ العلامة عبد الله بن أحمد باسودان ـ رحمه الله ـ أنه قال: (فمن الخصائص التي كان سيدنا الفقيه ـ أي: الفقيه المقدّم محمد بن علي باعلوي ـ رحمه الله ـ المتوفى (٦٥٣هـ) ـ منبعاً فيها لمن سلك طريقه من بنِيهِ، ما وصفه سيدنا الشيخ علي بن أبي بكر باعلوي ـ رحمه الله ـ المتوفى (٨٩٥هـ) من قوله : (وكان سيدنا الفقيه رضي الله عنه يُؤثر المَحوَ والخمُول، تاركاً لما لا يعنيه من مباح وفضول، متقيّداً في جميع حركاته وسكناته وظاهره وباطنه بصفاء العقول وصحيح المنقول، ولا يتقيّد برسوم ـ أي: مظهر ـ ولا معلوم، ولا بشيء ينسب إلى شهرة، بل طريقه الفقر الحقيقي، والإفتقار الكلّي، والإضطرار الفطري، والمحو الأصلي) [١].

---

(١) عقد اليواقيت الجوهرية للحبشي ١/٢٦٢، وانظر: البرقة المشيقة لعلي بن أبي بكر باعلوي ص٩٨.

ويقول الإمام العَيْدَرُوس . رحمه الله .: (والله ما أُريد أحد يعرفني ولا أحد يدري بي، وما مرادي إلا عِزّ الله)، ومن نصائحه: وعليك بالبغض للجاه، والحُب للخمول، والضعف والفقر والمسكنة والذل لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأولياءه والصالحين والفقراء والمساكين. وقال . رحمه الله .: عليكَ بترك الترفّع والتّصدّر في المجالس بِل اجلس في أطرَاف الناس. أعني: موضع الذّل والخمول والتواضع[١].

وقد ترجمَ الإمام العيدروس حقيقة ما يقوله في التواضع بفعله، قال العلامة أحمد بن زين الحبشي . رحمه الله . عنه: كان شديد الخوف والتواضع، لا يرى نفسه خيراً من أحدٍ من خلق الله تعالى، حتى البهائم والكلاب. وكان يضع على رأسه التراب تواضعاً لله عزّ وجل. وكان يَحملُ حاجته من السوق في ثوبه، ولا يمكّن أحداً أن يحملها له، وقد يضعها على عاتقه ورأسه[٢].

وذكر الإمام عبدالله بن علوي بن محمد الحداد العلوي الحسيني التريمي . رحمه الله . من علامات الكبر التصدّر في المجالس، والتقدّم على الناس ومن باب أولى شيوخه، فقال: (ومِنْ أمارات التكبّر محبة التصدّر في المجالس والمحافل، والتقدّم على الأقران وتزكية النفس، والثناء عليها، والتشدق في الكلام، والتبجح بالآباء،والاختيال والتبختر

(١) انظر: مقدمة رسالة بديعة في التصوف للإمام العيدروس بتحقيقي ٢٦ . ٢٧.

(٢) شرح العينية ١٩٦.

في المشية، وترك الوفاء بحقوق الإخوان مع مطالبتهم بالحقوق) [1].

وعقد العلامة محسن بن علوي بن سقاف السقاف . رحمه الله . في كتابه المبارك: (تعريف الخلف بطريق السلف) [2]**، عنواناً: التحذير من حُب الظهور والرسوم، وقال تحته: (من الظاهر المعلوم أن حب الرسوم قد رسخ وتمكّن في النفوس، حتى كاد أن ينسخ في الطُروس، كما أشار إليه وحذّر منه العلماء، ونبّه على شؤمه وسمومه الكرماء... واحذر كل الحذر من الظهور، وأسباب الظهور، ومن العوائد والرسوم، فإنها السموم).**

وجاء فيه أيضاً : (الشهرة ليستْ من عادة سادتنا آل باعلوي، ومن أحبها منهم فإنما أحبّها مؤقتاً ثم يعودون يكرهونها، تربية من الله لهم عزّ وجل، ومن كمل منهم لا يطلبها ولا يريدها... وقد أجاد السيد علي ابن أبي بكر في ذكره المناقب في .كتابه . (البرقة) وأفاد؛ لأنه أتى بهم من أولهم، ولم يذكر الكرامات، ولكل بيت لآل أبي علوي مناقب، ولكن تؤخذ مناقب كل بيت من أهله، إذ كل يحفظ مناقب أهله...الشهرة ما تُعطي الرِّفعة عند الله تعالى، فكم مشهور في بركة مستور، وكان سيدنا الفقيه المُقدّم غايةً في الخمُول، وله من التواضع ما لايكاد يُوصف، حتى أنه من عظيم حاله يكره أن يسمّى شيخاً! وأول

---

(١) رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة ٧٤، وانظر: النصائح الدينية والوصايا الإيمانية ٣٦٣.

(٢) ص٤٥ . ٤٧.

من سمي به ابن ابنه عبد الله بن علوي، وكان إذا قيل له: ياشيخ، قال : الشيخ أبوك!!) [1].

وقال الإمام ابن عطاء الله السكندري ـ رحمه الله ـ في حِكمِه المباركة: (ادْفِنْ وجودَك في أرضِ الخمولِ فما نَبَتَ مما لم يُدْفَنْ لا يَتِمُّ نَتَاجُه)

قال العلامة عبد المجيد الشرنوبي الأزهري شارحاً لكلام ابن عطاء الله ـ رحمهما الله ـ: (أي ادفن – أيها المريد – نفسك أي شهرتها في الخمول الذي هو كالأرض للميت في التغطية التامة بأن لا تتعاطى أسباب الشهرة . فإن الخمول ممّا يُعين على الإخلاص بخلاف حب الظهور فإنه من جملة القواطع القاصمة للظهور . فما نبتَ من الحَبِّ ممّا لم يُدفن في الأرض لا يتم نتاجه بل يخرج مُصْفرّاً . وكذلك أنتْ – أيها المريد – إذا تعاطيت أسباب الشهرة في بدايتك قلّ أن تفلح في نهايتك) [2].

فهذه كلماتٌ صادقة عن علماء صادقين، تحذّر وتُنذر من التصدّر!! وتذم العجلة في التصدّر في المجالس والتعليم، جدير بالوقوف عليها، والاهتداء بها للسلامة من طريق الردى:

---

(١) تعريف الخلف بطريق السلف ص١٣٢ ـ ١٣٤.

(٢) شرح الحِكم العطائية ٢٤.

١. قال إبراهيم بن أدهم . رحمه الله .:

كُنّا إذا رأينا الشابَّ يتكلّمُ في المجلس أيسنا من خيْرِه[١].

وقال أيضاً إبراهيم بن أدهم . رحمه الله .: مَا صَدَقَ اللهَ عَبْدٌ أَحَبَّ الشُّهْرَةَ. علّق الحافظ الذهبيّ . رحمه الله . على كلام ابن أدهم قائلاً: (قُلْتُ: عَلاَمَةُ المُخْلِصِ الَّذِي قَدْ يُحبُّ شُهرَةً، وَلاَ يَشعُرُ بِهَا، أَنَّهُ إِذَا عُوتِبَ فِي ذَلِكَ، لاَ يَحرَدُ وَلاَ يُبرِّئُ نَفْسَه ، بَلْ يَعترِفُ، وَيَقُوْلُ: رَحِمَ اللهُ مَنْ أَهدَى إِلَيَّ عُيُوبِي، وَلاَ يَكُنْ مُعجَباً بِنَفْسِهِ؛ لاَ يَشعرُ بِعُيُوبِهَا، بَلْ لاَ يَشعرُ أَنَّهُ لاَ يَشعرُ، فَإِنَّ هَذَا دَاءٌ مُزْمِنٌ) [٢].

وقال أيضاً إبراهيم بن أدهم . رحمه الله .:

تَوَقَّ لِمحظورٍ صُدور المجالسِ * فإن عُضول الداء حُبَ القلانسِ[٣].

٢. وقال سفيان الثوري . رحمه الله .:

مَنْ حدّث قبل أن يحتاج إليه ذلّ[٤].

٣. وقال سُحنون . رحمه الله .:

مَا وَجَدْتُ مَنْ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ إِلاَّ المُفْتِي[٥].

٤. وقال مالك بن أنس . رحمه الله .:

---

(١) انظر: موسوعة ابن أبي الدنيا ٥/ ٢٢٣، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٠٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٩٣. قوله:

(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٩٣.قوله: لاَ يَحْرَدُ أي: لا يقصد نفسه.

(٤) حلية الأولياء ٦/ ٣٦٣.

(٥) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٦٦.

ما أفتيتُ حتى شهِد لي سبعون أني أهلٌ لذلك[1].

وقال أيضًا . رحمه الله .:

ما أجبتُ في الفتيا حتى سألت من هو أعلم منّي، هل يراني موضعًا لذلك؟ سألتُ ربيعة، وسألت يحيى بن سعيد، فأمراني بذلك، فقلت: يا أبا عبد الله فلو نَهوْك؟ قال: كنتُ أنتهي، لا ينبغي للرجل أن يرى نفسه أهلاً لشيء حتى يسأل من هو أعلم منه[2].

٥. وقال الإمام الشافعي . رحمه الله .:

إذا تصدّر الحَدَث، فاته علم كثير[3].

٦. وقال أبو الحسن القالي . رحمه الله .:

لمّا تبدلتْ المجالس أوجهًا
غير الذي عَهِدَتْهُ من علمائها
ورأيتها محفُوفة بسوى الأُلَى
كانوا ولاة صدورها وفنائها
أنشدتُ بيتًا سائرًا مُتقدمًا
والعين قد شرقت بجاري مائها
أما الخيامُ فإنها كخيامهم
وأرى نساء الحي غير نسائها

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ٥٠٣.

(٢) صفة الصفوة ٢/ ٥٠٣.

(٣) صفة الصفوة ٢/ ٥٥٣.

ويقول أيضًا:

تصدّر للتدريس كلُّ مُهَوسٍ

بليدٍ تسمَّى بالفقيه المدرسِ

فحُقَّ لأهل العلم أن يتمثّلوا

ببيت قديمٍ شاع في كل مجلس

لقد هَزُلَت حتى بدا من هُزالها

كُلاها وحتى سامَها كلُّ مُفلِسِ (١).

٧. وقال أبو عثمان ابن الحدّاد المالكي . رحمه الله . المتوفى ٣٠٢هـ: مَا صَدَّ عَنِ اللهِ مِثْلُ طلب المَحَامِد، وَطلب الرِّفعَة (٢).

٨. قال الفضيل بن عياض . رحمه الله .: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُذْكَرَ لَمْ يُذْكَرْ، وَمَنْ كَرِهَ أَنْ يُذْكَرَ ذُكِرَ (٣).

٩. وقال الإمام سفيان بن عيينة . رحمه الله .: إنما عُرِفوا؛ لأنهم أحبوا ألا يُعرفوا (٤).

١٠. ويقول الذهبي . رحمه الله . مُحذِّراً من حُب الشهرة:

---

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ١٢/٧٠، وقوله:(كُلاها) أي: سقطت من الهزال فصاحبها يبقر بطونها من خواصرها في موضع كُلاها، ويخرج أولادها منها. لسان العرب١٥/ ٢٣٠، مادة (كُلى).

(٢) سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢١٤.

(٣) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٣٢.

(٤) صفوة الصفوة لابن الجوزي ٢/ ٢٣٣.

(فربما أعجبتُه نفسه وأحب الظهور فيُعاقب ... فكم رجل نطق بالحق وأمر بالمعروف فيسلّط الله عليه من يؤذيه لسوء قصده وحبه للرئاسة الدينية، فهذا داء خفيٌّ سارٍ في نفوس الفقهاء، كما أنه سارٍ في نفوس المنفقين من الأغنياء ... وهو داء خفيّ يسري في نفوس الجُند والأمراء والمجاهدين، فتراهم يلقون العدو ويصطدم الجمعان وفي نفوس المجاهدين مخبآت وكمائن من الاختيال وإظهار الشجاعة ليُقال!... يضاف إلى ذلك إخلال بالصلاة وظلم للرعيّة وشرب للمسكر فأنى ينصرون؟ وكيف لا يخذلون؟ ... فمَنْ طلب العلم للعمل كسره العلم، وبكى على نفسه، ومن طلب العلم للمدارس والإفتاء والفخر والرياء تحامق واختال وازدرى بالناس وأهلكه العجب ومقتته الأنفس) [1].

١١. وقال أبو الطيب سهل الصعلوكي . رحمه الله .:

(مَنْ تَصَدَّرَ قَبْلَ أَوَانِهِ، فَقَدْ تَصَدَّى لِهَوَانِهِ) [2].

١٢. وقال زُفَر بن الهُذيل . رحمه الله .:

(مَنْ قَعَدَ قَبْلَ وَقْتِهِ، ذَلَّ) [3].

أسأل الله تعالى أن يحفظني وأحبابي من الظهور القاصم للظهور [4].

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٩٢.

(٢) سير أعلام النبلاء١٧/ ٢٠٨.

(٣) سير أعلام النبلاء٨/ ٤٠.

(٤) نشر تاريخ ٢٩/ شعبان/١٤٤٦هـ.

المبحث الثاني

المقال الثاني [طريقة السلف بعيدة عن الغلو والتطرّف]

الحمد لله الكبير المُتعال، فلا يجري في مُلكه إلا ما قضاه على مُرّه والحال، والصلاة والسلام على من أزاح الله به الضلال، وفتح به الأقفال، وعلى آله أهل الكرم والإفضال، وأصحابه أهل الصدق في المقال ، أما بعد:

فقد اختلط في هذا الزمان الحَابِل بالنابِل، وسلك بعضهم أيّ مسلك دون تمييزٍ بين السّالِم من الهالك: بالغلو أو التطرّف، أو بالشطح أو التنطّع!! والحق العدل بعيد منهم بُعد المشرق من المغرب! وهذه عاقبة ونتيجة التسرّع، وعدم التمكّن والتضلّع، من سلسبيل موائد الشرع، والبحث عن أسراره وحِكمه، ومقاصده ولُبّه، فمِن واجب الأمانة النصيحة، وهي عامة وليست مخصوصة، فالشريعة عامة للخليقة !! ونحن من أمة الإسلام العالمية، فهذه أحرف يسيرة، لعلّها تلقَى آذاناً صاغيّة إن صدرتْ من قلب مُخلص مشفق، نسأل الله اللطف والسلامة :

(١) لا يجوز شرعاً نقل كلام للعامة ويكون سبباً في تشويش عقائد المسلمين، أو الإساءة بالصالحين، فقد نص أهل العلم على ذلك فعلّق العلامة الشيخ علي الشّبراملّسي على قول العلامة الرملي . رحمهما الله .: وَالْأَوْلَى بِالْمُعْتَكِفِ : الِاشْتِغَالُ بِالْعِبَادَةِ كَعِلْمٍ وَمُجَالَسَةِ أَهْلِهِ وَقِرَاءَةٍ وَسَمَاعِ نَحْوِ الْأَحَادِيثِ وَالرَّقَائِقِ وَالْمَغَازِي الَّتِي هِيَ غَيْرُ مَوْضُوعَةٍ

وَتَحْتَمِلُهَا أَفْهَامُ الْعَامَّةِ . فقال : ((قَوْلُهُ : وَالرَّقَائِقِ) أَيْ: حِكَايَاتِ الصَّالِحِينَ، (وقَوْلُهُ : وَتَحْتَمِلُهَا أَفْهَامُ الْعَامَّةِ) أَيْ: فَإِنْ لَمْ تَحْتَمِلْهَا حَرُمَ قِرَاءَتُهَا لَهُمْ؛ لِوُقُوعِهِمْ فِي لَبْسٍ أَوْ اعْتِقَادٍ بَاطِلٍ) (١)، وقال العلامة سليمان الجمل . رحمه الله .: (فتحرم قراءتها والاستماع لها وإن لم تكن في المسجد) (٢)، قال الإمام السُلمي . رحمه الله .: سمعت أبا بكر الرازي محمد بن عبد الله . رحمه الله . يقول: سمعتُ أبا عمرو الدمشقي . رحمه الله . (٣٢٩هـ) يقول: كما فرض الله على الأنبياء إظهار الآيات والمعجزات؛ ليؤمنوا بها كذلك فرض على الأولياء كتمان الكرامات؛ حتى لا يفتتن الخلق بها) (٣).

(٢) أوجبت الشريعة مخاطبة الناس على ما يتناسب معهم، وما تحتمله عقولهم؛ خشية أن لا يفتتنوا في دينهم، وهذا مقصد عظيم، ولُطف في الخطاب لعامة المسلمين، فقد قال سيدنا علي رضي الله عنه: (حدّثوا الناسَ بما يعرفون أتُحبون أن يكذّب الله ورسوله) (٤)، وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه:(ما أنتَ بمُحدِّث قوماً حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة) (٥)، وهذا اتباع لقول الله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ

---

(١) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ومعه حاشية الشيخ عَلِي الشبراملسي١٠/ ٦٤.

(٢) حاشية الشيخ سليمان الجمل على شرح المنهج لزكريا الأنصاري٢/ ٣٦٤.

(٣) طبقات الصوفية٢١٥.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم ١٢٧.

(٥) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه باب: النهي عن الحديث بكل ماسمع.

ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴾[1].

وقال سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه: (حفظتُ من رسول الله وعاءين، فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قُطعَ هذا البلعُوم)[2]، قال الحافظ ابن حجر . رحمه الله . بعد قول سيدنا علي رضي الله عنه: (وَفِيهِ دَلِيل عَلَى أَنَّ الْمُتَشَابِه لَا يَنْبَغِي أَنْ يُذْكَر عِنْد الْعَامَّة. وَمِثْله قَوْل اِبْن مَسْعُود رضي الله عنه: (مَا أَنْتَ مُحَدِّثًا قَوْماً حَدِيثًا لَا تَبْلُغهُ عُقُولهمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَة)رَوَاهُ مُسْلِم. وَمِمَّنْ كَرِهَ التَّحْدِيث بِبَعْضٍ دُون بَعْض أَحْمَد فِي الْأَحَادِيث الَّتِي ظَاهِرهَا الْخُرُوج عَلَى السُّلْطَان، وَمَالِك فِي أَحَادِيث الصِّفَات، وَأَبُو يُوسُف فِي الْغَرَائِب، وَمِنْ قَبْلهمْ أَبُو هُرَيْرَة كَمَا تَقَدَّمَ عَنْهُ فِي الْجِرَابَيْنِ، وَأَنَّ الْمُرَاد مَا يَقَع مِنْ الْفِتَن، وَنَحْوه عَنْ حُذَيْفَة وَعَنْ الْحَسَن أَنَّهُ أَنْكَرَ تَحْدِيث أَنَس لِلْحَجَّاجِ بِقِصَّةِ الْعُرَنِيِّينَ؛ لِأَنَّهُ اِتَّخَذَهَا وَسِيلَة إِلَى مَا كَانَ يَعْتَمِدهُ مِنْ الْمُبَالَغَة فِي سَفْك الدِّمَاء بِتَأْوِيلِهِ الْوَاهِي، وَضَابِط ذَلِكَ أَنْ يَكُون ظَاهِر الْحَدِيث يُقَوِّي الْبِدْعَة، وَظَاهِره فِي الْأَصْل غَيْر مُرَاد، فَالْإِمْسَاك عَنْهُ عِنْد مَنْ يُخْشَى عَلَيْهِ الْأَخْذ بِظَاهِرِهِ مَطْلُوب)[3].

وكان الإمام العَيْدَرُوس . رحمه الله . (ت ٨٦٥هـ) يذاكر الفقهاء بما يوافقهم فيُقرّر لهم الآراء الفقهية حسب تقريرها، فإذا جالس عامة

---

(١) سورة العنكبوت: ٤٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم١٢٠.

(٣) فتح الباري١/ ٢٢٥.

الناس نزل إليهم بلسان حالهم؛ ليقربهم إلى ربهم فلا غموض في المقال، ولا حكايات أهل الأحوال(١).

(٣) إشغال عامة الناس بالمنامات والكرامات . مع حاجة الناس لتصحيح عباداتهم . مضيعة للأوقات، وهو مسلك مخالف للهدي النبوي، فهدي سيدنا رسول الله ﷺ التزكية للروح، والتعليم لانضباط الجسم، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾(٢)**، وهدي السلف الاتباع والعمل، ولا ينظرون للثمرة والنتائج.**

(٤) يجب أن يرشد الناس والعامة لتحقيق العبودية لله تعالى، وتحقيق حقائق الإسلام والإيمان والإحسان، بل إشغالهم بمثل الرؤى والمنامات جهل بمقاصد الدين، وحياد عن سنة سيد المرسلين ﷺ، وما نفع الله تعالى بأسلافنا وأهلنا الماضين إلا باستقامتهم لطريق الجادة والصواب، وذلك بالعلم والعمل والورع والخوف من الله والإخلاص والدعوة الصادقة النبوية الواضحة الجليّة، قال العلامة محمد بن أحمد بن جعفر ابن أحمد بن زين الحبشي . رحمه الله .: (والشريعة تُتبع من غير إفراط ولا تفريط ولا غلو، وأئمة ساداتنا آل أبي علوي سلكوا محجتها البيضاء، وطريقتها السمحاء العلياء، ولا أحد منهم يُنسب إلى تحريف

---

(١) انظر: المشرع الروي ٢/٣٥٥.

(٢) سورة آل عمران: ١٦٤.

أو تخريف أو ركوب غير الأحوط فيها، ومن اخترع مَهيعاً لنفسه خصوصاً من أولادهم وارتضى غير ما سلكوه فآخر عمره إلى الخيبة والانحطاط، ولا يُرفع لهم منار، ووكِلَ إلى نفسه) [1].

(٥) أعظم الكرامات عند العلماء الربانيين هي الاستقامة على الشريعة المحمدية، قال الإمام أبو القاسم القشيري . رحمه الله تعالى . في رسالته المشهورة عند السادة الصوفية : واعلم أن من أجلِّ الكرامات التي تكون للأولياء التي تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعات والحفظ من المعاصي والمخالفات) [2]، وقال الإمام أبو الحسن الشاذلي . رحمه الله تعالى .: (الكرامة الحقيقية إنما هي حصول الاستقامة والوصول إلى كمالها ومرجعها أمران: صحة الإيمان بالله عزّ وجل واتباع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ظاهراً وباطناً، فالواجب على العبد أن لا يحرص إلا عليها ولا تكون لهمّه إلا في الوصول إليها، وأما الكرامة بمعنى خرق العادة فلا عِبرة بها عند المُحققين؛ إذ قد يرزق بها من لم تكتمل استقامته، وقد يرزق بها المُستدرجون. وقال: إنما هي كرامتان جامعتان محيطتان: كرامة الإيمان بمزيد الإيقان وشهود العيان، وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ومُجانبة الدّعاوي والمخادعة، فمَنْ أعطيهما ثم جعل يشتاق إلى غيرهما فهو عبدٌ مفتر كذّاب، ليس ذا حظ في العلم بالصواب كما أكرم بشهود الملك على

---

(١) العلم النبراس٢٦.

(٢) الرسالة القشيرية ص١٦٠.

نعت الرضا، فجعل يشتاق إلى سياسة الدواب وخلع الرضا) [1].

بل يرى السادة العارفون أن إظهار الكرامات مقصد مذموم، وصاحبها مَلُوم، كما تُلام المرأة من إظهار حيضها! فلذا يسترون ما يَظهر منهم؛ خشية كشف حالهم للخلق؛ لأن قصدهم وعملهم لربّهم ومولاهم، قال الإمام أحمد الرفاعي ـ رحمه الله ـ: (ولا ترغب للكرامات وخوارق العادات فإن الأولياء يستترون من الكرامات كما تستتر المرأة من الحيض) [2].

وهذا الإمام الهُمام، الذي لا يُشق له غُبار، وهو أشهر من نار على علم، وهو المُجدّد للمدرسة السلوكية الحضرمية، الإمام عبد الله بن علوي الحداد ـ رحمه الله ـ يقول : (إن العارفين لا يقيمون وزناً لمن يشتهي هذه الكرامات ويطلبها لنفسه بحظه. ويقولون: الكرامة الاستقامة، وهي المعبّر عنها بحسن المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم ظاهراً وباطناً . ولا يصل أحد إلى شيء من هذه الخوارق حتى تصير نفسه في غاية من اللطافة بواسطة الرياضة، ويتحقق بكتمان الأسرار، ويتعرّى عن الحظوظ النفسانية. ومَنْ حصل له شيء منها قبل إحكام هذه الأمور كانت فتنة عليه إلّا إن عصمه الله وحفظه، وهذا الذي وصل إليه أولياء الله من التحرّز عن رِق الأكوان والخروج عن عوارض الأجسام والانقطاع إلى الله والإقبال عليه بترك ما يشغل عنه

---

(١) انظر: نور التحقيق، للعلامة حامد صقر ص ١٢٨.

(٢) البرهان المؤيّد ١٦١.

ويقطع عن حضرته كائناً ماكان، فهذا هو الملك الحقيقي الذي يغبط صاحبه)[١].

ويقول أيضاً في بيان ضرر الركون إلى الكرامات أو حُب ظهورها: (ومِنْ أضر شيءٍ على المُريد طلبه للمُكاشفات، واشتياقه إلى الكرامات، وخوارق العادات، وهي لا تظهر له ما دام مشتهياً لظهورها؛ لأنها لا تظهر إلا على يد من يكرهها ولا يريدها غالبا. وقد تقع لطوائف من المغرورين؛ استدراجا لهم، وابتلاء لضعفة المؤمنين منهم، وهي في حقّهم إهانات وليست كرامات، إنما تكون كرامات إذا ظهرت على أهل الاستقامة، فإن أكرمك الله– أيها المريد– بشيء منها فاحمده سبحانه عليه. ولا تقف مع ما ظهر لك ولا تسكن إليه، واكتمه ولا تحدّث به الناس، وإن لم يظهر لك منها شيء فلا تتمنّاه ولا تأسف على فقده. واعلم أن الكرامة الجامعة لجميع أنواع الكرامات الحقيقيات والصوريات هي الاستقامة المعبر عنها بامتثال الأوامر، واجتناب المناهي ظاهراً وباطناً، فعليك بتصحيحها وإحكامها؛ تخدمك الأكوان العلوية والسفلية، خدمة لا تحجبك عن ربك، ولا تشغلك عن مراده منك)[٢].

(٥) ربط الناس برب الناس أصلٌ أصيلٌ، ومقصدٌ نبيلٌ، قال الله تعالى﴿

(١) اتحاف السائل بجواب المسائل ص ٤١ . ٤٢.

(٢) آداب سلوك المريد ٤٦-٤٧.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾[2]، **ثم ربطهم بهدي الأنبياء، وخاتم الأنبياء ﷺ، فقد أمرنا بسلوك هديهم، واتباع طريقهم؛ لأن الله تعالى عصمهم وجعل أقوالهم وأفعالهم لنا أسوة وقدوة، فهي تشريع وهداية، قال الله :** ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾[3]، **وقال سبحانه:** ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾[4].

فشيوخنا لا أظن أنهم يرضون بمثل صدور هذه التصرّفات أو المبالغات، خصوصاً ممّن لم يتمكّن من التحقيق العلمي والسلوكي، أو صدورها من انصاف طلابهم أو ممّن نصبَ نفسه للرِّيادة أو القيادة ممّن اغترّ باطلاع في مسألة، أو سكُر برؤية، وظنّ أنه بلغ مرقى صعباً، وهو في الحقيقة تزبَّب قبل أن يتحصرَم، ولعلّ صدور هذه التهوّرات

---

(١) سورة البقرة: ٢١.

(٢) سورة النحل: ٣٦.

(٣) سورة الأنعام: ٩٠.

(٤) سورة الأحزاب: ٢١.

سبب للاستفادة منها للوقوف عند الحد، ولله في خلقه شؤون !! فلا يمكّن من التصدّر من لا يعرف مقاصد الدين ولُبّه ، فقد كانوا يمتحنون طلابهم وأبنائهم حتى يطمئنوا منهم أنهم فهموا المراد، وتوطّنت نفوسهم واينعت عقولهم، فلله المُراد فيما أراد، وإلى الله تعالى المآب، والحمد لله على كل حال، وصلى الله على سيدنا محمد وآله والأصحاب(١).

المبحث الثالث

المقال الثالث [الاسترزاق والنِّفاق !!]

صدقَ واللهِ وبرَّ مَنْ قال : الاستقامة أعظم كرامة .

بالاستقامة أُمِر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال الله تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(٢)، فكيف بآحاد المسلمين كأمثالِنا! ممّن جاء بعد هذا الخطاب؟ فالأمر جِدٌ، والواقع نِدٌ !!

وأخطر ما يكون التّصنّع والتخشّع بين صفوف المُنتمين للدعوة المُشرّفة، وإن أخوف ما خشي منه رسولنا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم : الرياء والسمعة، ونيل الزعامة والشهرة. وهو داءٌ نفسيٌ باطنيٌ،

---

(١) نشر تاريخ ١٢/جماد ثان /١٤٣٩هـ.

(٢) سورة هود: ١١٢.

له آثاره ومظاهره، ونزواته ونزغاته، فعن عُبادة بن نسيّ رضي الله عنه قال: دخلتُ على شدّاد بن أَوس رضي الله عنه في مُصلّاه، وهو يبكي، فقلتُ: (يا أبا عبد الرحمن ما الذي أبكاك ؟) قال: (حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقلتُ وما هو ؟ قال: بينما أنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذْ رأيتُ بوجهه أمراً ساءني فقلتُ: (بأبي وأمي يا رسول الله ما الذي أرى بوجهِك ؟ قال: أمرٌ أتخوّفه على أُمتي من بعدي، قلتُ : وما هو ؟ قال: "الشرك وشهوة خفيّة" قال: قلتُ: يا رسول الله أتُشرك أمتك مِنْ بعدك ؟ قال: يا شدّاد أما إنّهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً ولا وثناً ولا حَجراً، ولكن يراءون الناس بأعمالهم، قلتُ: يا رسول الله الرياء شرك هو ؟ قال: "نعم" قلتُ: فما الشهوة الخفيّة ؟ قال: يصبح أحدكم صائماً فتعرض له شهوة من شهوات الدنيا فيفطر) [1].

وداءٌ آخر هو: ابتغاءُ عرَض الدنيا، والرِضى بها دُون الأُخرى، وهو أصلُ الشقاء، ومنبعُ العنَاء، قال عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: (حُبُّ الدُّنْيَا أَصْلُ كُلِّ خَطِيئَةٍ)[2]، ونعوذ بالله من الدُّموعِ المُتكلَّفة، والحرَكات المُفتعلَة!!

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم ١٦٤٩٨، والحاكم في المستدرك حديث رقم ٧٩٤٠ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. والحديث حسن بشواهده، وقد توسّعتُ في الكلام عنه بهامش الفرائد لما في خطبة الوداع من الفوائد ص٣٣.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان١٣/٧٤، والمرفوع ضعيف، وروي عن الحسن البصري مُرسلاً بإسناد حسن.المقاصد الحسنة للسخاوي ٢٩٦،وفيض

قال الإمام عبد الله بن علوي الحداد . رحمه الله . واصفاً لأحوال زمنه من طلب الدنيا، ونيل الشهوات والسعي الحثيث لها، ثم ذكر ما ينبغي سلوكه :

مُظَاهَرَةُ الإِخْوَانِ أَمْرٌ مُقَرَّرٌ
عَلَيْهِ يَدُورُ الشَّأْنُ فَاسْتَوْصِ بِالخِلِّ
أَمَا إَنَّ هَذَا الدّهْرَ قَدْ ضَلَّ أَهْلُهُ
هُمُومُهُمُ فِي لَذَّةِ الفَرْجِ وَالأَكْلِ
وَفِي جَمْعِ مَالٍ خَوْفَ فَقْرٍ فَأَصْبَحُوا
وَقَدْ لَبِسُوا قُمْصاً مِنَ الجُبنِ وَالبُخْلِ
وَقَدْ دَرَجَ الأَسْلاَفُ مِنْ قَبْلِ هَؤُلاَء
وَهِمَّتُهُمْ نَيْلُ المَكَارِمِ وَالْفَضْلِ
لَقُدْ رَفضُوا الدُّنْيَا الغَرُورَ وَمَا سَعَوْا
لَهَا وَالَّذِى يَأتِي يُبَادَرُ بِالْبَذْلِ
فَقِيرُهُمُ حُرٌّ وَذُو الْمَالِ مُنْفِقٌ
رَجَاءَ ثَوابِ اللهِ فِي صَالِحِ السُّبْلِ
لَبَاسُهُمُ التَّقْوَى وَسِيمَاهُمُ الْحَيَا
وَقَصْدُهُمُ الرَّحْمَنُ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ
مَقَالُهُمُ صِدْقٌ وَأَفْعَالُهُمْ هُدَى
وَأَسْرَارُهُمْ مَنْزُوعَةُ الغِّشِّ وَالغِلِّ

القدير ٣/٣٦٩.

خُضُوعٌ لَمِوْلاَهُمْ مُثُولٌ لِوَجْهِهِ
قُنُوتٌ لَهُ سُبْحَانَهُ جَلَّ عَنْ مِثْلِ
فَقَدْنَا جَمِيعَ الخَيْرِ لَمَّا تَرَحَّلُوا
وَمِنْهُمْ خَلاَ وَعْرُ البَسِيطَةِ وَالسَّهْلِ[١].

ثم ذكر تأسّفه من أحوال زمانه وأهله، وبكى على من سبقه من الأخيار الأبرار، فكيف لو رأى أحوال زماننا الذي نعيشه، لبكى على من مضى الدَم ، وإلى الله المشتكى وإليه المآب والرجعى.

فقد ازداد في الآونة الأخيرة ظاهرة الاسترزاق مع التلبّس بمظاهر الزُهد البَرّاق، فهذا يُسافر . بحسب الظاهر، والنوايا لربِّ البرايا .؛ لأجل الدعوة لله الغفّار، وهو يَدرُّ المكاسب، ويضحك على أهل المناصب، ويستغل صفاء العجم والعرب، وسعيه وراء الورِق والذهب !! . إلا من رحِم ربّي .

وذاك يفتح له عنواناً برّاقاً ؛ لنفع الناس، وأَلْبَسَ عليه اللِّباس، وظاهره الرحمة، وباطنه الهلَكة، فزادت المُؤسسات الخيريّة، والصناديق الخدميّة، وحقيقتها . إلا من رحِم ربّي . مشاريع شخصيّة، تغدِقُ على أصحابها، وتدُور في فلكهم !!

وآخر يفتح مَعْهداً علميّاً تربويّاً سُلوكيّاً؛ لأجل أن يَدرَّ له بالأموال، وبالعُملة الصّعبة كما يُقال!! وهو قد يكون ليس لديه من الكفاءة العلمية الكافية إلّا في الوعظ والسلوك والأذواق!! وهو يدرُّ من ورائها

(١) الدُّرُّ المَنْظُوم لِذَوْي العُقُول و الفُهُوم ١٧٣ ـ ١٧٤.

الأوراق!! فسلوكه لغيره، وجيبه مَعمُور بديناره!! أو لديه من العلم والدراسة!! ولكن غرّه هواه وشيطانه؛ ليشتري بدينه!! فهو حقيقة يُتاجر بدِينه، . إلا مَنْ رحِم الله .، ويقع فيما حذّر الله أهل الكتاب من وقوعه، يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[(١)].

والمتوقّف كثيرًا عند هذه الآية المباركة مُتدبرًا لها، يجدها تبدأ بهذا النداء للمؤمنين؛ أي: أنها تخصّهم بالذات؛ لينتبهوا لهذه الظاهرة الهدَّامة للدِّين وللبِشرية، فهم المعنيون بها، والمُكلّفون بالعمل على فضح هذه الظاهرة للناس كافة، ومعلوم أن سورة التوبة تُسمّى (بالفاضحة) و(الكاشفة) لظاهرة النفاق بصورها المُختلفة والمتجددة في كل عصر ومصر، والتجارة بالدِّين إحدى صور النفاق في الأمّة الإسلامية، بل أخطرها وأشدها فتكًا بالمسلمين.

ولله درّ الإمام الفخر الرازي . رحمه الله . عندما قرّر ما تقدم في تفسير الآية الشريفة قال: (ولعمري من تأمّل أحوال أهل الناموس والتزوير في زماننا وجد هذه الآيات كأنها ما أُنزلت إلّا في شأنهم وفي شرح أحوالهم، فترى الواحد منهم يدّعي أنه لا يلتفتُ إلى الدنيا ولا يتعلّق خاطره بجميع المخلوقات، وأنه في الطهارة والعصمة مثل

---

(١) سورة التوبة: ٣٤.

الملائكة المُقربين حتى إذا آل الأمر إلى الرّغيف الواحد تراه يتهالك عليه ويتحمّل نهاية الذُل والدناءة في تحصيله...) ثم ذكر أربعة معاني في تفسير هذا الباطل على وجوه، فقال: (فبهذا الطريق يحملون العوام على أن يبذلوا في خدمتهم نفوسهم وأموالهم، فهذا هو الباطل الذي كانوا به يأكلون أموال الناس، وهي بأسرها حاضرة في زماننا، وهو الطريق لأكثر الجهّال والمُزورّين إلى أخذ أموال العوام والحمقى من الخلق) (١).

هذا في عصر الإمام الرازي! فكيف بعصرنا ؟ فالخطْبُ في المظاهر قد عم، والشّر في المقاصد قد طم، وكثرت المُجاملات من قبل أهل الشأن والرأي والحكمة، واختلط الحابِل بالنابِل، والكلُّ يقول: قصدنا الخير، ولكن لو حصحص الحق، ووُزِنتْ المَقاصد والأعمال؛ لظهر الخرق والباطل، والزيف الهائل!! (٢)

---

(١) مفاتيح الغيب المسمى بالتفسير الكبير١٦/ ٣٤.

(٢) وقد ذكر العلماء عدّة مسائل كالصوم بنيّة التداوي، والحج والبيع كالحاج وبيّاع المسابح!! وأن ما صححوه منها فهو بالنسبة إلى الإجزاء فقط، وأما الثواب فصرّح ابن الصبّاغ بعدم حصوله في مسئلة التبرّد، ومثله العبادات من باب أولى، والذي اختاره الإمام العزّ ابن عبد السلام: أنه لا أجر له مُطلقاً، تَساوى القصدان أم لا. واختار الإمام الغزالي اعتبار الباعث على العمل، فإن كان القصد الدنيوي هو الأغلب لم يكن فيه أجر، وإن كان الدّيني أغلب كان له الأجر بقدره، وإن تساويا تساقطا. قال العلامة السيوطي قول الغزالي هو المختار. انظر: الأشباه والنظائر للسيوطي ص٢١. أقول: وما قاله الإمام الغزالي

وقد حذّر جماعة من السلف الصالح أن يكسب المرء المال بدينه، ويستعطف قلوب الناس بتنسّكه، أو بلبسه زِيّ أهل الصلاح وهو في الحقيقة من عَبدةِ الدّينار والدرّهم!!

فعن سليمان بن داود قال سألتُ عبد الله بن المبارك . رحمه الله . وهو تابعي جليل . مَنْ الناس؟ قال: العلماء، قلتُ فمَنْ الملوك؟ قال: الزّهاد، قلتُ: فمَنْ السّفلة؟ قال: الذين يعيشون بدينهم!، وفي رواية : قال فمَنْ السّفلة؟ قال: الذي يأكل بدينه!! (١).

وقيل لعبد الله بن المبارك رضي الله عنه وأرضاه أن إسماعيل بن عليّة قد ولي الصدقات فكتب إليه ابن المبارك:

يا جاعِلَ العِلمِ لَهُ بازِياً * يَصطادُ أَموالَ المَساكينِ
اِحتَلتَ الدُنيا وَلَذّاتَها * بِحيلَةٍ تَذهَبُ بِالدَينِ
فَصِرتَ مَجنوناً بِها بَعدَما* كُنتَ دَواءً لِلمَجانينِ
أَينَ رِوايَتُكَ في سَرِدِها* لِتَركِ أَبوابِ السَلاطينِ
أَينَ رِوايَتُكَ فيما مَضى* عَنِ اِبنِ عَونٍ وَاِبنِ سيرينِ

هو الموافق لمقاصد الشريعة الغراء؛ لأنها هي التي تحدد مصير الأفعال والأقوال، والأصل في ذلك كله حديث:(إنما الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى.. الحديث) فالعاقل هو الذي يضع عمله في ميزان الشرع، ويحاسب نفسه، فيُبعثُ الناس على نيّاتهم ومقاصدهم، ويوم الحساب يومٌ عسير! . نسأل الله الهداية والسلامة ..

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم ٨/ ١٦٨، وانظر: صفة الصفوة لابن الجوزي٤/١٤٠.

إن قُلتَ أُكرِهتُ فَذا باطِلٌ * زَلَّ حَمارُ العِلمِ في الطينِ.

قال: فلما قرأ الكتاب بكى واستعفى[١] .

قال الإمام الجنيد بن محمد: سمعتُ السَّريّ السّقطي ـ رحمهما الله ـ يذّم من يأكل بدينه، ويقول: من النذالة أن يأكل العبد بدينه[٢].

وقال الإمام سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ: إن أقبح الرغبة أن تطلب الدنيا بعمل الآخرة[٣].

ونفاق العلم أعظم خطراً، وأقبح فعلاً، بأن يتكلّم بالحقِّ ويعمل بالمُنكر، وقد حذّر منه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكم من يظهر التنمّق في الكلام، وله في العلم نصيب ،ولكنه من العمل بعيد، فعن عُمَرَ بن الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ أَخْوَفَ ما أَخَافُ على أمتي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمُ اللِّسَانِ) [٤].

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي٤/١٤٠.

(٢) أخرجه ابن عبد البر بسنده في جامع بيان العلم وفضله ص ١٩٧، وانظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم ١٠/ ١١٧، وانظر: رسالة (ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين) للعلامة جلال الدين السيوطي ص ٢٧، فقد أفاد وأجاد في الموضوع وذكر روايات وأقوال السلف في ذم السعي للمجيء عند السلاطين للمال والدنيا. ـ نسأل الله العافية ..

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء٧/٥٤.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٢٢/١، وأخرجه بإسناده الحافظ الذهبي ثم قال :هذا حديث مقارب الإسناد لم يخرجوه في الكتب الستة، وميمون: فيه لين، وقد قال يحيى بن معين: لابأس به، وديلم صدوق، تابعه على الحديث الحسن بن أبي

ولله درّ الإمام عبد الله بن علوي الحداد . رحمه الله . عندما قال واصفاً حال النفاق وطلب الاسترزاق بالعلم والنُسك :

يَا نَفْسُ هَذَا الذَّي تَأتِينَهُ عَجَبُ * عِلْمٌ وَعَقْلٌ وَلاَ نُسْكٌ وَلاَ أَدَبُ
وَصْفُ النِّفَاقِ كَمَا في النَّصِّ نَسْمَعُهُ*عِلْمُ اللِّسَانِ وَجَهْلُ القَلْبِ وَالسَّبَبُ
حَبُّ المَتَاعِ وَحُبُّ الجَاهِ فَانْتَبِهِي*مِنْ قَبْلِ تُطْوَى عَلَيْكِ الصُّحْفُ والْكُتُبُ
وَتُصْبِحِينَ بِقَبْرٍ لاَ أَنِيسَ بِهِ * الأَهْلُ وَالصَّحْبُ لَمَّا أَلْحَدَوا ذَهَبُوا
وَخَلَّفُوكِ وَمَا أَسْلَفْتِ مِنْ عَمَلٍ * المَالُ مُسْتَأْخَرٌ وَالْكَسْبُ مُصْطَحَبُ
وَاستيقِنِي أَنَّ بَعْدَ المَوْتِ مُجْتَمَعاً * لِلْعَالَمِينَ فَتَأْتِي العُجْمُ وَالْعَرَبُ
وَالخَلْقُ طُرّاً ويِجزِيهِمْ بِمَا عَمِلُوا*في يَومِ لاَ يَنْفَعُ الأَمْوَالُ وَالْحَسَبُ(١) .

وظاهرة: (حُبّ الظهور)، وهي قاصمة للظهور! ولكن غرّهم في ذلك الغرور، ونسوا يوم النشور، فتراهم يُحبون الصُوْر، ويكبّرون العمائم في المظهر، والحقيقة في المَخْبر . إلا من رحِم ربّي . وصدق المُخلِصُ لهم المُنوَّر: عِمامةٌ وصُوْرة، ولا شيء تحت المقْصُورة !!

فسيدنا رسول الله ﷺ بريءٌ من التكلّف، وأُمّته تابعة له، فعن عبد اللَّهِ ابن مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال:(يا أَيُّهَا الناس من عَلِمَ شيئا فَلْيَقُلْ بِهِ، وَمَنْ لم يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: الله أَعْلَمُ؛ فإنّ من الْعِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ: الله أَعْلَمُ، قال الله عزّ وجل لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ

جعفر. سير أعلام النبلاء ١١/ ٤٤٦، وقال الهيثمي: رواه البزار وأحمد وأبو يعلى ورجاله موثقون. مجمع الزوائد١/ ١٨٧.

(١) الدُّرُّ المنْظُوم لِذَوْي العُقُول و الفُهُوم ص ٦٦.

﴿ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [1][2]، **وجاء العتاب من الله تعالى في الكتاب لمن هذا حاله، وفي الآخرة خرَابه :** ﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥ ﴾ [3]، **فالتكلّف نهايته التلَف، نعوذ بالله تعالى من سُوء المنقلب [4]!**

المبحث الرابع

المقال الرابع: [نصيحة للأحباب مع الواقع المعاصر]

إننا نعيش في واقع مختلف تماماً عن ما مضى، فلذا يُرجى الاحتياط والحذر من الوقوع في المَهالك والمَزالق، ولعلَّ هذه النصائح تقينا جميعاً من الوقوع في ذلك:

(١) كُلُّ مَنْ أخطأ في أسلوب الدعوة والطريق، وإن كان هدفه نبيلاً يتحمّل وزْرهُ، وهو لا يمثّل إلّا نفسه، (وسلفنا الصالح بُراء من الإفراط والتفريط).

(٢) كُلُّ مَنْ مَال لفئة من الفئات المُسلِمة المُتناحرة والمُتقاتلة؛ لغرض

---

(١) سورة ص: ٨٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه حديث برقم ٤٥٣١.

(٣) سورة الكهف: ١٠٣ - ١٠٥.

(٤) نشر تاريخ ١٦/ ٤/ ٢٠١٩م.

سياسي أو غيره، فقد خرج عن منهج الإصلاح المتمثّل في قول الله تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (١)، وهو منهج سلفنا الصالح الذين لم لم يركنوا ولم يتحمّلوا وزر الجاني، ووزر المَجني الحريص على القتل، فعن عن الْأَحْنَفِ بن قَيْسٍ رضي الله عنه قال: سمعت رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إذا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ في النَّارِ فقلت يا رَسُولَ اللَّهِ هذا الْقَاتِلُ فما بَالُ الْمَقْتُولِ قال إنه كان حَرِيصًا على قَتْلِ صَاحِبِهِ) (٢).

(٣) كُلُّ مَنْ ترك الارتباط ببيوت الله تعالى في أرضه، فقد أتعب نفسه، وترك كنزاً عظيماً ، (فمساجدُنا أربطتنا)، فالمسجد أهم ركيزة في بناء المجتمع الإسلامي ومنه تخرّج الرجال والأبطال، ومنه انطلق البناء والإعمار، فهو أول شيء اهتم به الرسول المختار ﷺ حين قدم المدينة المنوّرة بعد هجرته إليها، فلنحافظ عليها من دُعاة الفتنة، ونحافظ فيها على ارتباطنا بربنا بالصلاة جماعة، ونُدّرس فيها أولادنا، ونوجّه فيها إخواننا برفق وحكمة، فهي من أحبِّ البلاد إلى الله تعالى، ومن دخلها فقد فاز بالضيافة والمحبّة، فعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال:

---

(١) سورة الحجرات: ٩ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم ٣١.

(أَحَبُّ الْبِلَادِ إلى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إلى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا) [١].

(٤) كُلُّ من جعل همّه الاعتناء بالظواهر، والمناظر، ولم يعتني بالجواهر والمخابر فهو مُدّع، فسلفنا همّهم الأول، رضا الرحمن الأَجل، وهو (بالعلم أحرى ، وبالزهد أعلى، وبالإخلاص أسمى).

(٥) كُلُّ (مَنْ أحب الظُهور فهو مغرُور)، وعملُه هباء منثور، فاللهَ اللهَ بالخُمول الذي لا يُخل، والتواضع الذي لا يُقل.

فهذه خمس نصائح ؛ لعلها تنقذ غريقاً أو تحرك ساكناً، فهي من القلب لكل مُحب[٢].

المبحث الخامس

المقال الخامس [لُبّ السلوك]

أعظم مقام يصله العبد من ربّه هو مقام الإحسان، (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لم تَكُنْ تَرَاهُ فإنه يَرَاكَ!) [٣]، واستشعار عظمة الله في كل حال، وأنه مُطلع عليه على الدوام، ولهذا كان آخر ما نزل من القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم ٦٧١.

(٢) نشر عام ٢٠١٥م.

(٣)أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم٥٠، ومسلم في صحيحه حديث رقم٨.

يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [(١)]، وهذا مقام أهل الذوق والشوق، ممّن تحققت فيهم الصفات الثلاث : فلا يَرون إلا الله، ولا يقصدون إلا إيّاه، وأخرجوا مال الله لعباد الله، وتيقنوا أنه مُطلع عليهم في سرّهم وخفاهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ثَلَاثٌ من فَعَلَهُنَّ فَقَدْ طَعِمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ: (١) من عَبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إلا الله ، (٢) وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بها نَفْسُهُ (٣) وزكّى عبدٌ نفسه، فقال رجل: ما تزكية المرء نفسه يا رسول الله؟ قال : يعلمُ أن الله معه حيثما كان) [(٢)].

وصدقَ والله وبرّ، جدنا العيدروس الأكبر ـ رحمه الله ـ في وصيته: (وعليك برضا مولاك في ليلك ونهارك، وسرّك وجهرك، ومخالطتك وخلوتك، وسفرك وحضرك، وموتك وحياتك،وحركاتك وسكناتك) [(٣)].

ولخص لُبّ السُلوك على منوال ما تقدّم تحقيقه وتقريره العلامة المُحقق والصوفي المُدقق الشيخ عمر بن عبد الله بامخرمة ـ رحمه الله ـ ت(٩٥٢هـ)، فجاء في كتاب تفريج القلوب وتفريج الكروب للعلامة

---

(١) سورة البقرة: ٢٨١.

(٢) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى٤/ ٩٥ ، وأصله عند أبي داود في سننه مختصراً، حديث رقم ١٥٨٢، وقال الحافظ ابن حجر بعد الحديث: رواه الطبراني وجوّد إسناده وسياقه أتم سنداً ومتناً. التلخيص الحبير٢/ ١٥٥، وانظر: البدر المنير لابن الملقن٥/ ٤٥١.

(٣) مجموع كلامه مخطوط ورقة ١٠-١١.

عمر بن سقاف الصافي السقاف[1]، ما نصّه راوياً : (أخبرني الشيخ عبدالله بن محمد عباد قال: اجتمعتُ بالفقيه عمر بامخرمة عند الشيخ محمد عباد، وحصلتْ مذاكرة بينهم في التصوّف، وكان ذلك اليوم رابع شوال سنة اثنتين وخمسين وتسع مئة، فقال الشيخ عمر بامخرمة:

أعط المَعيّةَ حقّها *والزمْ له حُسْنَ الأدب

واعلم بأنّك عبدُهُ *في كلِّ حالٍ وهو ربّ.

وأشار إلى بعض الحاضرين، فقال: أتعرف معنى هذين البيتين؟ فقال: لا، ثم قال : أنتم تضحكون على التصوف! ثم قال: حق المعيّة هو: الإجلال والتعظيم، وعلم التّصوف في هذين البيتين، ولم يعش الفقيه بعد هذا الكلام إلا ستة وأربعين يوماً).

وقد ذكر الحافظ ابن الجوزي أبو الفرج الحنبلي ـ رحمه الله ـ حال من أخذ من العلم بنصيب إلا أنه لم يرع حق مَقام الرُّبوبيّة، ولم يستشعر المُراقبة الذاتيّة، فهوى في أودية الردى والبلاء، ثم قال: (وهؤلاء لم يفهموا معنى العلم، وليس العلم صُور الألفاظ؛ إنما المقصود فهم المُراد منه، وذاك يُورث الخشية والخوف، ويرى المِنّة للمُنعم بالعلم، وقُوّة الحجة له على المُتعلم.

نسأل الله عزّ وجل يقظةً تفهمنا المقصود، وتعرفنا المعبود. ونعوذ بالله من سبيل رِعاع يتّسمون بالعلماء، لا ينهاهم ما يحملون، ويعْلَمُون ولا يعْمَلون، ويتكبرون على الناس بما لا يعملون، ويأخذون عرض

---

(١) ص ١٨٧.

الأدنى، وقد نُهوا عمّا يأخذون، غلبتهم طِباعُهم، وما راضتهم علومُهم التي يدرسون، فهم أخسُّ حالًا من العوام الذين يجهلون، ﴿ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴾[1])[2].

اللهم آت أنفسنا تقواها، وزكّها أنت خير من زكاها أنت وليّها ومولاها[3].

(١) سورة الروم :٧.

(٢) صيد الخاطر ص ٣٢٤.

(٣) نشر تاريخ ١٥ رمضان ١٤٤٠هـ.

فهرس الموضوعات